الجزء الثاني

الجوانب التربوية عند فقهاء الشافعية

من خلال كتاب طبقات الشافعية للإمام السبكي

obeikandl.com

obeikandl.com

التعريف بالإمام السبكي وكتابه الطبقات

نسبه ومولده:

هو تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام السبكي الشافعي.

ولد بالقاهرة سنة سبع وعشرين وسبعمائة وسمع بمصر من جماعة ثم قدم دمشق مع والده في جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وسمع بها من جماعة واشتغل والده وغيره وقرأ على الحافظ المزي ولازم الذهبي وتخرج به(١).

علمه:

أمعن في طلب الحديث، وكتب الأجزاء والطباق مع ملازمة الاشتغال بالفقه والأصول، والعربية، حتى مهر وهو شاب، وخرج له ابن سعد مشيخة حدث بها وأجاد في الخط والنظم والنثر، وشرح مختصر ابن الحاجب، ومنهاج البيضاوي، وعمل في الفقه التوشيح والترشيح، ولخص في الأصول جمع الجوامع وعمل عليه منع الموانع وعمل القواعد المشتملة على الأشباه والنظائر، وكان ذا بلاغة وطلاوة اللسان، عارفاً بالأمور، وانتشرت تصانيفه في حياته(٢).

وقد شهد له العقل والنقل بأنه في السن، كمل العلم والحلم والعقل(٣).

---

(١) ابن العماد الحنبلي (أبي الفلاح، عبد الحي، ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب، بيروت، دار المسيرة، ١٩٧٩م، ١٣٩٩هـ، ج٦، ص٢٢١.

(٢) العسقلاني، (أحمد بن حجر، ت ٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ط٢، مصر، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٦م، ص٤٠.

(٣) الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك، الوافي بالوفيات، بيروت، المعهد الألماني، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج١٩، ص٣١٦.

شيوخـــه:

سمع من القدسي وطبقته بمصر، ومن بنت الكمال وابن تمام والمزي وأجاز له الحجار، وأخذ عن والده والشيخ أثير، أبي حيان وغيرهما، وسمع الحديث الحافظ شمس الدين الدهبي وتخرج[1].

المناصب التي تولاها الإمام تاج الدين السبكي:

درس في غالب مدارس دمشق وناب عن أبيه في الحكم ثم استقل به باختيار أبيه وولي دار الحديث الأشرفيه بتعيين أبيه وولي توقيع الدست في سنة ٧٥٤هـ، وولي خطابة الجامع، وانتهت إليه رياسة القضاء والمناصب بالشام.

وحصل له بسبب القضاء محنة شديدة مرة بعد مرة وهو مع ذلك في غاية الثبات، ولما عاد إلى منصبه صفح عن كل من أساء إليه، وكان جواداً منيباً، وكان أول ما ولي القضاء في حياة أبيه في ربيع الأول سنة ٧٥٧هـ ثم عزل في شعبان سنة ٩ وولية أبو البقاء، ثم أعيد في أول شوال[2].

أشهر مصنفاته:

لقد صنف الإمام تاج الدين السبكي عدة مصنفات من ذلك مختصر ابن الحاجب، شرح منهاج البيضاوي، وجمع الجوامع في الأصول، والتوشيح في الفقه وطبقات الشافعية في ثلاث مصنفات، كبرى ووسطى وصغرى وكتاب الأشباه والنظائر، وغير ذلك، وكان له نظم ونثر وإنشاء[3].

---

(١) ابن تغري بردى وجمال الدين أبو المحاسن، المنهل الصافي، تحقيق محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

(٢) العسقلاني، الدرر الكامنة، مرجع سابق، ج٣، ص٤٠.

(٣) بن تغري بردى، المنهل الصافي، مرجع سابق، ج٧، ص٣٨٦

وفاته:

توفي الإمام تاج الدين السبكي في الدهشة ظاهر دمشق في يوم الثلاثاء سابع ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وسبعمائة، ودفن بسفح قاسيون عن أربع وأربعين سنة... رحمه الله تعالى[1].

القيمة العلمية لكتاب طبقات الشافعية الكبرى:

يعد كتاب طبقات الشافعية إحدى الموسوعات العربية ينهل منها كل من يطلب المعرفة، وينشد فيها كل متخصص حاجته. فقد جمع فيه الإمام تاج الدين السبكي عصارة فكره وعلم فقهاء أفراد أسهموا في نشر العلم على مر العصور من فقه وفكر وشعر ومناظرة وتراجم لرجال ربما يعز على المنقب وجدانها.

وقد اشتمل هذا الكتاب على مقدمة، وسبع طبقات في عشر مجلدات يترجم في كل طبقة منها أعلام مائة سنة.

- فاحتوى الجزء الثاني على أعلام الطبقة الثانية فيمن جالس الشافعي وسمعوا منه.
- الجزء الثالث احتوى على الأعلام الطبقة الثالثة فيمن توفي بين الثلاثمائة والأربعمائة.
- الجزء الرابع احتوى على الطبقة الرابعة فيمن توفي بين الأربعمائة والخمسمائة.
- الجزء الخامس احتوى على الطبقة الخامسة فيمن توفي بين الستمائة والسبعمائة.

---

(١) المرجع السابق، ج٧، ص٣٨٦.

- الجزء السادس: احتوى على أعلام الطبقة الخامسة.
- الجزء السابع: احتوى على بقية الطبقة الخامسة.
- الجزء الثامن: احتوى على أعلام الطبقة السادسة.
- الجزء التاسع: احتوى على أعلام الطبقة السابعة فيمن توفي بعد السبعمائة.
- الجزء العاشر: احتوى على أعلام بقية الطبقة العاشرة فيمن توفي بعد السبعمائة.

أما المقدمة فقد استوفى فيها ابن السبكي مباحث عدة وناقش مسائل في الحديث، ونقد الرجال، والنحو، وكان يعرض لقضايا علم الكلام فيقدمها ويبين في الآراء استقصاء شامل وسرد منهجي، ثم ينتصر لرايه ورأي الأشاعرة آخر الأمر.

ومناقشة آراء العلماء في رواية الشعر وإنشاده وسماعه وحرص على أن يذكر في المقدمة طبقات الرواة، الذين عنهم أخذ وبطريقهم أسند: وافتتح بسم الله والثناء عليه واستطرد في ذلك وقد قام الإمام تاج الدين السبكي بترجمة لحياة هؤلاء الفقهاء ومواليدهم ووفياتهم وعلومهم ومذاهبهم أحياناً وأساليبهم في التعليم وذكر بعض أشعارهم.

وقد اعتمد تاج الدين في ترتيبه كل طبقة على حروف المعجم وبدأ بذكر الأحمدين ثم المحمدين، يمناً وتبركاً.

الجوانب التربوية عند فقهاء الشافعية

تعريف بالمذهب الشافعي وصاحبه:

الإمام الشافعي:

مولده ونسبته:

ولد الإمام محمد بن إدريس الشافعي في سنة (١٥٠هـ) سنة وفاة أبي حنيفة...وقد ولد في غزة ثغر فلسطين عند مشارف مصر ومشارف الشام، وكان أبوه قد خرج إليها في حاجة أو بين جند الثغور، ومات بعد مولده بقليل، وقديماً في رحلة صيف إليها، مات هاشم جد الرسول عليه الصلاة والسلام، واخو المطلب جد محمد بن إدريس، ودفن بها، فسميت "غزة هاشم"(١).

وهكذا نرى أن الشافعي قد ولد من أب قرشي نسيب، ولكنه مات والشافعي في المهد، ونشأ فقيراً، وقد حشيت أمه أن يضيع حقه في بيت مال المسلمين في سهم ذوي القربى، لذا حملته أمه إلى مكة(٢).

طلبه للعلم:

ابتدأ الإمام الشافعي بالاتجاه إلى طلب العلم، وهو في كنف أمه بغزة، فاستحفظ القرآن الكريم، ولما ذهب إلى مكة اتجه إلى تلقي أحاديث رسول الله ﷺ من شيوخ الحديث بها، وكان حريصاً على حفظها وكتابتها أحياناً على الخزف وأحياناً على الجلود، ثم أنه خرج من مكة إلى البادية فلازم هزيلاً وتعلم كلامها وأخبارها وأشعارها، وتعلم العربية وتفصح فيها وقد اتجه بعد ذلك للعلم بكليته، فطلب الفقه والحديث من الفقهاء والمحدثين بمكة حتى صار يشار إليه بين

---

(١) عبد الحليم الجندي، الإمام الشافعي، القاهرة، دار المعارف، ط٣، د ت، ص٢٧.
(٢) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ج٢، ص٢٢٦

شابًا، واحتصه العلماء والمحدثون كسفيان بن عيينه ومسلم بن خالد الزنجي بفضل رعاية وتقدير[1].

حتى أنه جلس للفتيا صغيراً.

روى الربيع بن سليمان المرادي - وهو من أهم فقهاء المذهب الشافعي وموثّقيه - قال: سمعت الحميدي يقول: سمعت الزنجي ابن خالد (يعني مسلم بن خالد الزنجي) يقول للشافعي: "أفت أيا أبا عبد الله؛ فقد - والله - آن لك أن تفتي"؛ وهو ابن خمس عشرة سنة[2].

وقد نزل الشافعي بمصر على بني عبد الحكم الذين كانوا دعامة قوية لمذهبه، وبتضليهم وفضل غيرهم من التلاميذ كالبويطي وابن القاسم ذاع المذهب في مصر وانتشر ووصل إلى ذروة قوته في أيام الدولة الأيوبية التي جعلته مذهباً للدولة واحتصته بالقضاء فيها. وقد ساد المذهب في الشام بعد أن تولى قضاءها أبو زرعة الدمشقي، وكذلك انتشر في بغداد.

صفات الشافعي

كان جيد التعبير، أبلغ الحجة، قوي المنطق، بلغ الغاية في الشجاعة وجودة الرأي.

أشهر أصحاب الشافعي: المزني - البويطي[3].

---

(١) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، مرجع سابق، ص٢٢٩

(٢) الرازي (أبي محمد بن أبي حاتم، ت٣٢٧)، آداب دأب الشافعي ومناقبه، تحقيق محمد الكوثري، بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ت)، ص٣٩.

(٣) محمد مصطفى أمبابي، الجديد في تاريخ الفقه الإسلامي، القاهرة، دار المنار، ١٩٨٦م، ص١٧٣-١٧٨

الجوانب التربوية عند فقهاء الشافعية:

إن المتأمل لتراجم فقهاء المذهب الشافعي من خلال كتاب الطبقات للإمام تاج الدين السبكي يرى ملامح كثيرة للجوانب التربوية من حيث اهتمامهم بالعلم والتعليم وبالمعلم وإعداده لمهنة التعليم وعلاقة المعلم بتلاميذه وطرق ووسائل التدريس ومؤسساته. وهذا ما سنحاول الحديث عنه في هذا الفصل المتواضع وهي بثمرة جهود الباحثة بتوجيه وإرشاد من أستاذها الفاضل.

أولا: أهمية العلم والتعلم:

لقد اهتم فقهاء الشافعية بالعلم والتعليم أيما اهتمام وجعلوا له مكانة سامية مما جعلهم يتفانوا في الجد والمواظبة على تحصيله وسنتناول هذه الناحية من زوايا ثلاث:

- حرصهم على مواصلة طلب العلم.
- حرصهم على تعلم العلم ونشره.
- حرصهم على أخذ العلم من أفواه العلماء (الشيوخ).

ثانيا: الحرص على مواصلة طلب العلم:

لقد حرص الشافعية على الجد والمواظبة على طلب العلم وتحصيله: "وحد نحط ابن القليوبي في كتابه (العلم الظاهر) كان الشيخ تاج الدين الحموي... كثير الاشتغال بالعلم، دائم التحصيل وسمعت الشيخ الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم يقول: "دخلت عليه يوماً وهو في تتسرب تحت الأرض لأجل شدة الحر وهو يشتغل قال فقلت له. في هذا المكان وعلى هذا الحال. فقال: إذا لم اشتغل بالعلم ماذا أصنع"(١).

---

(١) السبكي، (تاج الدين، أبي نصر بن علي بن عبد الكافي، ت٧١١)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق

فهذا إن دل على شيء فهو يدل على حبهم الشديد للعلم وحرصهم على تحصيله مهما كانت الظروف والأحوال فهذا الحموي لم تمنعه شدة الحر من أن ينزل تحت الارض ليتمكن من العلم والاشتغال به.

فكانوا لا يذهبون ساعة من أعمارهم إلا في اشغال أو اشتغال فهذا أحد فقهائهم وهو فخر الدين النوقاني يقول عنه ابن السبكي "كان لا يذهب ساعة من عمره إلا في أشغال أو اشتغال، أو نسخ أو مطالعة".

وكانوا لا يحدون غير العلم صاحباً. "فقد جمع أبو القاسم ابن عساكر نفسه على أشتات العلوم لا يتخذ غير العمل والعدل صاحبين وهما منتهى أربه.

'حتى في يوم ماطر لم يمنعهم المطر من الذهاب للإمام الخسروشاهي لسماع كلامه حيث أتوا جميعاً ووقفوا تحت طاقة للإمام، ووضعوا على رؤوسهم كساءً يمنع وصول المطر، يفتح (المحصول) وشرع واحد يقرأ ثم واحد، والإمام لا يدني رأسه من آخر الكوة إلا لمن يرتضيه، فمنهم من يجيده ومنهم من يقرأ إلى آخر درسه، والإمام لا يلتفت إليه تمريناً منه – يرحمه الله- على الأداء، وتعريفاً لمقدار العلم وانه يعز وإن اقتحم ذو العزيمة الأهوال، وظن أن همته تعلو السحاب"(١)

فهم ينظرون للعلم والتعليم نظرة تقديس واجلال ذلك أن العلم يعز صاحبه ويرفعه إلى منزلة كريمة لذلك فهو جدير أن تركب الأخطار وتقتحم الأهوال من أجل تحصيله كما فعل هؤلاء الطلبة مع الخسروشاهي- أحد فقهاء الشافعية – حيث لم تمنعهم سوء الأحوال الجوية من طلب العلم.

---

(١) السبكي، طبقات الشافعية، مرجع سابق، ج٨، ص١٦٢.

وقد بلغ من أغرازهم للعلم والتعليم أن لا يجاملوا أحداً على حسابه، يقول السبكي: "بلغني أن سلطان مصر حضر عند المسلمين للسماع فجعل يتحدث مع أخيه فزبرهما وقال: أيش هذا نحن نقرأ الحديث وأنتما تتحدثان"(١).

فلم يمنع الإمام السلفي كون الشخص غير المنصت السلطان أو غيره بل أنه نهاهما عن الحديث احتراماً وتقديراً للعلم الذي يتعلم وهو حديث رسول الله ﷺ.

وهاهو الإمام أبي الحسن الفارقي يحث ويرشد الطلبة إلى شكر كل من يعلمهم فائدة في العلم.

من شعره:

إذا أفـــادك إنســـان بفائـــدة

مـــن العلـــوم فـأكثر شـــكره أبـــداً

وقـــل فـــلان جـــزاه الله صـــالحة

أفادنيهـــا وألـــتي الكـــبر والحســـد(٢)

وهذا يدل على تعظيمهم لأمر العلم والتعلم ونظراً لما للعلم من فائدة في الدنيا والآخرة كان لابد من شكر كل من يعلمني شيئاً من العلوم ولو كانت معلومة بسيطة جداً.

"حتى أن محمد بن عبد الملك الكَرْجي، قال فيه ابن السمعاني أنه أفنى طوال عمره في جمع العلم ونشره"(٣).

"وهذا الفقيه الشافعي علي بن عبد الكافي السبكي كان من الاشتغال على

---

(١) المرجع السابق، ج٦، ص٣٦.
(٢) نفس المرجع، ج٦، ص١٣٧.
(٣) نفس المرجع، ج٦، ص١٣٨.

جانب عظيم بحيث يستغرق غالب ليله وجميع نهاره... كان يخرج من البيت صلاة الصبح فيشتغل على المشايخ إلى أن يعود قريب الظهر فيجد أهل البيت قد عملوا له فروجاً فيأكله. وكان الله تعالى قد اقام والده ووالدته للقيام بأمره فلا يدري شيئاً من حاله، ثم زوجه والده بابنة عمه وعمره خمس عشرة سنة والزمها أن لا تحدثه في شيء من أمر نفسها وكذلك ألزمها والدها وهو عمه الشيخ صدر الدين فاستمرت معه ووالده ووالدها يقومان بأمرهما، وهو لا يراها إلا وقت النوم وصحبته مدة ثم أن والدها بلغه أنها طالبته بشيء من أمر الدنيا، فطلبه وحلف عليه بالطلاق ليطلقها فطلقها، فانظر إلى اعتناء والده وعمه بأمره وكان ذلك خوفاً منهما أن يشتغل باله بشيء غير العلم"(١).

نستخلص مما مر بنا من موقف والدي ابن سليم السبكي الأمور الآتية:

مدى اهتمام الآهل وحرصهم على تحصيل أبنائهم للعلم، فكان والديه يقومان بخدمته ليتفرغ هو للعلم.

حرص الآهل وأولياء الأمور بعدم شغل أبنائهم طلبة العلم بأي أمر من أمور الدنيا وهذا يظهر من أن والده زوجه ابنة عمه، وألزمها أن لا تحدثه بأمر من أمور نفسها وكذلك والدها ألزمها بذلك.

يقع على عاتق أولياء الأمور توفير بيئة مناسبة للتعلم وإزالة كل العوائق التي من شأنها أن تصرف طالب العلم عن التحصيل، لذلك نرى أن والدها عندما علم أنها طالبته بأمر من أمور الدنيا طلب منه وأصر على طلاقها، حتى لا ينشغل باله بشيء غير العلم.

---

(١) نفس المرجع، ج١٠، ص١٤٢

فهذا يدل على إدراكهم أهمية العلم وأنه يغني الإنسان عن أي شيء آخر في الحياة فبالعلم يحظى الإنسان بالمكانة العالية.

ونظراً لأهمية العلم عند فقهاء الشافعية وحتى يحقق طالب العلم الأجر والمنفعة، من هذا العلم فهم يشترطون فيه:

إخلاص النية في طلب العلم، لذا يقول الإمام علي بن عبد الكافي السبكي:

ومن سهر الليـــال علـى الأقـدام ... ليـــس مصـــــور الآمـــام

وأخلـــــص النيـــة في الأعمـــال ... لصانـــع العالـــم ذي الجـــلال

فهو يرشد طالب العلم إلى إخلاص النية لله تعالى.

العمل بالعلم، يقول علي سمير الكافي السبكي شعراً:

وتـــوح العلـــم بتـــاج العمـــل ... مـــرين خليـــة الحـــلل[1]

فهو يرى أنه لابد من تتويج العلم بالعمل مقترناً بالنيّة الخالصة لوجه الله تعالى.

ثالثا: الحرص على تعليم العلم ونشره:

كما أن فقهاء الشافعية قد حرصوا على تحصيل العلم فإن حرصهم على تعليمه للناس ونشره لم يكن أقل أهمية.

لذا فقد اشتغل فقهاء الشافعية بتعليم العلم معظم أوقاتهم ولم يصرفهم عن ذلك الظروف والأحوال ولا حتى حرفهم التي كانوا يتكسبون منها معايشهم.

يقول القاضي يحيى بن القاسم مدرس النظامية كان ابن سكينة لا يضيع شيئاً من وقته وكنا إذا دخلنا عليه يقول لا تزيدوا على سلام عليكم لكثرة حرصه

---

(١) نفس المرجع، ج١٠، ص٣٤٧.

على المناحثة وتقرير الأحكام، فكانت أوقاته محفوظة، وكلماته محدودة لا تمضي له ساعة إلا في قراءة القرآن الكريم والحديث الشريف[1].

وقيل أن السلفي ما خرج إلى بستان ولا فرجة غير مرّة واحدة بل كان عامة دهره ملازماً مدرسته، ولم يزل يقرأ عليه الحديث إلى أن غربت الشمس ليلة وفاته وهو يرد على القارئ اللحن الخفي، وصلى يوم الجمعة الصبح عند انفجار الفجر وتوفي عقبه فجأة(٢).

لله دره يذاكر العلم حتى في لحظات نزعه - هؤلاء هم من نذروا أنفسهم للعلم فأصبحوا علماء أفذاذ وقادة العلم وسادته - هم أخلصوا النية والعمل فانقاد لهم العلم وأضاء حياتهم.

"وهذا الإمام الغزالي يتخذ في جوارد مدرسة لطلبة العلم وخانقاه للصوفية إيماناً منه بأهمية نشر العلم بين الناس.

وكان قد وزع أوقاته على وظائف الحاضرين من ختم القرآن ومجالسة أهل القلوب والتعود للتدريس بحيث لا تخلو لحظة من لحظاته ولحظات من معه عن فائدة إلى أن أصابه عين الزمان وخنث به الأيام على أهل عصره"[3].

ولم يكن الإمام القونوي أقل همة ونشاطاً في تعليم العلم من الإمام الغزالي.

"كان إذا طلع الفجر خرج من مسكنه للصلاة بسكون ووقار ثم يستمر في إفادة الطلبة إلى منتصف النهار"[4].

---

(١) نفس المرجع، ج٨، ص٣٢٤-٣٢٥.
(٢) نفس المرجع، ج٦، ص٣٧.
(٣) المرجع السابق، ج٦، ص٢١٠
(٤) المرجع السابق، ج١٠، ص١٣٣

لقد وهبوا أنفسهم وأوقاتهم كلها في تعليم العلم ونشره بين الناس ولم يمنعهم منه حتى طلب المعاش والرزق فكانوا يستغلون كل ساعة وكل لحظة في التعليم.

كان أبو مطفر الفرض له دكان في سوق الريحانيين، يبيع فيه العطر والأدوية، وكان الفقهاء يقرأ عليه الفرائض في دكانه[1].

"ويروي السبكي أن ابن ملكداد بن علي العمركي واسمه محمد مات في عنفوان الشباب، وهو فاضل حسن المنظر والمخبر قال. فبلغني من قوة الشيخ وتسليمه أنه حضر الجامع بكرة على عادته لإلقاء الدروس، فأتته زليخا بنت القاضي أبي سعد الطالقاني، وهي جدتي أم أبي. وكانت تحته حينئذ فأخبرته بوفاته فأمرها بتجهيزه ولم يذكر الحال للحاضرين حتى فرغ من درسه، ثم قال. إن محمداً قد دعي فأجاب، فمن أراد فليحضر الصلاة عليه"[2].

نستنتج من هذه القصة ما يأتي:

- صبر الشيخ وتسليمه لقضاء الله وقدره فلم يمنعه موت ابنه من الحضور إلى الجامع لإلقاء دروسه.
- تقديم أمر العلم على أي أمر من أمور الدنيا مهما عظم.
- حرصه على عدم شغل بال طلابه بالأمر فلم يخبرهم بحالة وفاة ابنه حتى لا يصرف أذهانهم عن تلقي العلم.

ربما يكون بهذا يريد أن ينبه طلابه إلى قدر وأهمية العلم ويحضهم على مواصلة تحصيله ولا يمنعهم عنه أي أمر وذلك بالقدوة الحسنة لأن المعلم هو قدوة

---

(1) المرجع السابق، ج٦، ص١٥٠.
(2) المرجع السابق، ج٧، ص٣٠٢.

لتلاميذه يقلدونه في كل شيء في حركاته وأخلاقه وهمته ونشاطه. بدليل أنه أخبرهم بعد أن فرغ من درسه.

رابعا: الحرص على تلقي العلم من أفواه العلماء (الشيوخ):

ونظراً لحرص فقهاء الشافعية على العلم فقد وجهوا الناس لأخذ العلم عن الشيوخ لا من بطون الكتب وحدها.

أنشد أبو حيان محمد بن حيان النفزي:

يطلب العمر أن الكتب تجدي ... أتعبادهى لإدراك العلوم

وما يدري الجهول بأن فيها ... غوامض حيرت عقل الفهيم

إذا رمت العلوم بغير شيخ ... ضللت عن الصراط المستقيم

وتلتبس الأمور عليك حتى ... تصير أضل من توما الحكيم(١)

في هذه الأبيات يبين الإمام النفزي أهمية وجود المعلم وقائدته بالنسبة للتعليم والمتعلمين.

أهمية وجود معلم (شيخ):

- لا يمكن الاعتماد على أخذ العلم من بطون الكتب مهما كان الطالب وقاد الذهن.
- للمعلم أهمية في شرح الغامض من المعارف والعلوم ومن يطلب العلم بلا معلم (شيخ) يضل عن الطريق المستقيم وقد تنحرف به الأهواء إلى ما ليس فيه خير لنفسه ومجتمعه.
- كما أن من يطلب العلم بلا شيخ قد تلتبس عليه الأمور فلا يعرف المخرج من ذلك.

---

(١) المرجع السابق، ج٩، ص٢٨٦.

لذا فقد لازم فقهاء الشافعية شيوخهم لتلقي العلم وتحصيله إيماناً منهم بأن العلم لابد له من معلم يوضح الغامض ويفسر ما يلتبس من أمور في دقائق العلوم.

فقد حصل عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن أنواعاً من العلوم الدقيقة والحساب على يد والده الشيخ ولما توفي أبوه انتقل إلى مجلس إمام الحرمين وواظب على درسه وصحبته ليلاً ونهاراً ولزمه عشياً وأبكاراً حتى حصل طريقته في المذهب والخلاف"(١).

فكانوا لا يملون من القراءة على الشيوخ:

كان ابن محمد النحيري يقرأ دائماً (صحيح مسلم) للغرباء والرحالة على شيخ الغافر الفارسي. قرأ عليه أكثر من عشرين مرة وكف بصره بآخره(٢).

وكان من حرصهم على تحصيل العلم من أفواه الرجال ظهرت عندهم الرحلة في طلب العلم وسنحاول أن نتحدث عن رحلاتهم تلك.

- الرحلة في طلب العلم:

لقد حرص فقهاء الشافعية على جمع العلوم والتأمل في دقائقها من العلماء والشيوخ ولم يمنعهم بعد كثير من الشيوخ وتفرقهم في بلدان عدة من الجد في تحصيل العلم من أجل الحصول على معلومات وفائدة في العلم.

يقول الحافظ أبو سعد قرأت على ابن النجار عن شيوخه وخرجت معه إلى دمشق وانصرفنا إلى مرو وخرجنا في شوال سنة تسع وعشرين إلى نيسابور وكان خروجه معي لأني رغبت في الرحلة لسماع صحيح مسلم(٣).

---

(١) المرجع السابق، ج٧، ص٢١٦

(٢) المرجع السابق، ج٧، ص٥٢

(٣) المرجع السابق، ج٦، ص.

يقول الإمام السبكي - رحمه الله - في حديثه عن الإمام أحمد بن علي الأصولي. كانت الرحلة قد انتهت إليه وتزاحمت الطلاب على بابه حتى انتهى حاله إلى أن صار جميع نهاره وقطعة من ليله مستوعباً في الاشتغال. يجلس من وقت السحر إلى وقت العشاء الآخرة. ويتأخر أيضاً بعدها(١).

وقد كان أهل البلاد التي يسافر إليها طلبة العلم يستقبلونهم بحرارة واعتزاز. فقد سافر الشيخ ابن تومرت في جماعته إلى بتُملل فلما آتوه ورآهم أهل ذلك المكان على تلك الصورة فعلموا أنهم طلاب علم فتلقوهم وأكرموهم وأنزلوهم وجاءوا يتبركون بابن تومرت(٢).

ومن فقهائهم من بلغت شيوخهم الآلاف:

يقول ابن النجار في حديثه عن الحافظ أبو سعد بن السمعاني سمعت من يذكر أن عدد شيوخه سبعة آلاف شيخ وهذا شيء لم يبلغه أحد. عاد بعدما دوخ الأرض سفراً إلى بلده مرو وأقام مشتغلاً بالجمع والتصنيف والتحديث والتدريس(٣).

وهذا الفقيه العالم أبو القاسم ابن عساكر سمع من خلائق وعدة شيوخه ألفا وثلاثمائة شيخ ومن النساء بضع وثمانون امرأة. وارتحل إلى بلدان عدة إلى العراق ومكة والمدينة وأصبهان ونيسابور وزنجان وهمذان(٤).

وكان حرصهم على الرحلة في طلب العلم من الشيوخ والعلماء يجعلهم يحتملون أية جفوة وقسوة قد تصدر من بعض الشيوخ والعلماء.

---

(١) المرجع السابق، ج٦، ص٣٠.
(٢) المرجع السابق، ج٦، ص١١٣-١١٤
(٣) المرجع السابق، ج٦، ص١٨٢
(٤) المرجع السابق، ج٧، ص٢١٩

"فقد رحل ابن سلفة السلفي إلى بغداد وأدرك نصراً بن البطر قال فيما يحكي عن نفسه: دخلتها في رابع شهر شوال فلم يكن لي همة ساعة دخولها إلا المضي إلى ابن البطر فدخلت عليه وكان شيخاً عسراً، فقلت: قد وصلت من اصبهان لأجلك، فقال: اقرأ جعل بدل الراء عيناً، فقرأت وأنا متكٍ لأجل دمامل بي، فقال: أبصر ذا الكلب فاعتذرت عليه بالدمامل، وبكيت من كلامه، ثم رحل إلى البصرة وهمذان"[1].

وكذلك كل فقهاء الشافعية اعتنوا بأخذ العلم من أفواه العلماء ورحلوا في سبيل ذلك إلى بلدان عديدة للقاء الشيوخ والتتلمذ على أيديهم وما ذكرناه كان مجرد نماذج من طلبة الشافعية للتدليل على تقديسهم للعلم وإجلالهم له.

- أهداف التعليم (التربية):

إن للتربية عند فقهاء الشافعية أهدافاً تسمو عن المقاصد الدنيوية، وإن كانوا لم ينفردوا بهذا الرأي، وهذه الأهداف استطاعت الباحثة استخلاصها من خلال تأمل ما كان عليه هؤلاء الفقهاء من خلق ودين وعلم مما دلنا على أن أهداف التربية عندهم كانت تظهر على سلوك طلبة العلم والعلماء عندهم.

- من هذه الأهداف:

- إقامة شعائر الإسلام على الوجه المطلوب شرعاً، وتحقيق الورع في نفوسهم.

يقول السمعاني في حديثه عن أبو المظفر الفرضي أنه شيخ فاضل ديّن حيّر له معرفة تامة بالفرائض[2].

---

(١) المرجع السابق، ج٦، ص٣٤.
(٢) المرجع السابق، ج٦، ص١٥٠.

وهذا البروي الطوسي يعقد مجلساً للوعظ والتذكير(١)، ولو لم يكن من أهداف أهداف التعليم عندهم تعريفهم بشعائر الدين والذكر لما عقد الطوسي حلقة للوعظ والتذكير.

- ومن شعر الإمام الساحي:

ومن سهر الليل على الأقدام ... ينس مصور الآنام

وأنه المقصود بالعلوم ... عند ذوي العقلة والفهوم

فهو يبين أن المقصد من العلم هو تحقيق العبودية لله تعالى وهذه لا تكون إلا بإقامة شعائر الإسلام على أكمل وجه.

إتقان تلاوة كتاب الله عزّ وجل:

وهذا الهدف نجده واضحاً عند فقهاء الشافعية من خلال تركيزهم على تعلم القرآن الكريم وعقد المجالس والحلقات التعليمية.

فقد وزع الإمام الغزالي أوقاته على وظائف الحاضرين من ختم القرآن(٢).

وكذلك الفقيه علي بن عبد الكافي السبكي كان مواظباً على تلاوة كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار(٣) لذا نراهم حرصوا على تعليم قراءة القرآن الكريم وحفظه حتى يتمكن من أن يتعبد بتلاوته.

الترفع عن الأخلاق الذميمة:

فقد كان من أهداف التعليم عندهم تهذيب النفوس تخليصها من الصفات الذميمة وغرس الأخلاق الحميدة.

---

(١) المرجع السابق، ج٦، ص٣٩٠.
(٢) المرجع السبق، ج ٦، ص٢١٠.
(٣) المرجع السبق، ج١٠، ص١٦٢

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فقد كان فقهاء الشافعية آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، ولو أدى بهم ذلك للهلاك.

"فقد كان الشيخ نور الدين البكري رجلاً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وقد واجه مرة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بكلام غليظ فأمر السلطان بقطع لسانه[1].

- تحقيق الكمال الإنساني مقارنة بسائر المخلوقات، يقول الإمام علي بن عبد الكافي بن تمام السبكي في قصيدة له[2]:

كمال الفتى بالعلم لا بالمناصب ... ورتبة أهل العلم أسنى المراتب
هم ورثوا علم النبيين فاهتدى ... بهم كل سار في الظلام وسارب
ولا فخر إلا إرث شرعة أحمد ... ولا فضل إلا باكتساب المناقب

- رفع الجهل عن نفسه والآخرين، ومن قصيدة أيضاً للإمام علي بن عبد الكافي السبكي يخاطب ابنه:

أنيّ لا تهمل نصيحتي التي ... أوصيك واسمع مني مقالي ترشد
أحفظ كتاب الله والسنن التي ... صحت وفقه الشافعي محمد
وأعلم أصول الفقه علماً محكماً ... يهديك للبحث الصحيح الأكد
وتعلم النحو الذي يدني الفتى ... من كل فهم في القرآن مُسدّد(٣)

(١) المرجع السابق، ج١٠، ص٣٧٠.
(٢) المرجع السابق، ص١٠، ص١٨٠.
(٣) المرجع السابق، ج١٠، ص١٧٧.

فهو يوصي ابنه بحفظ كتاب الله والسنن الصحيحة والفقه لأنها ترشده إلى العلم الحق الصحيح وتسدد خطاه في رحلة الحياة فلا يبقى تائهاً جاهلاً.

هذه بعض الأهداف التربوية التي استطاعت الباحثة استخلاصها من خلال صفات هؤلاء الفقهاء ومن خلال بعض أشعارهم التي كانوا يتناقلونها. وقد رأت الباحثة عدم الإسهاب بها فلا مجال لذلك في هذه الدراسة المتواضعة.

إعداد المعلم عند فقهاء الشافعية:

نظراً لما للمعلم من مكانة سامية عند فقهاء الشافعية فقد اعتنوا بعملية اختياره واشترطوا له شروط معينة لكونه المسؤول عن عملية التعليم لذا يجد المعلم عندهم انصب بعدد من الخصائص والصفات الهامة لمهنة التدريس كما اعتنوا بالنواحي العقلية والمهنية والأكاديمية في عملية الإعداد. وإن لم يكن هناك مؤسسات خاصة تبنت عملية الإعداد هذه.

وقد كان طالب العلم يعتبر نفسه مسؤولاً عن هذا الإعداد لقيامه بمهمة التدريس على أكمل وجه. فلم يكن المعلم منهم يتصدى للتدريس قبل أن يصبح أهلاً لتلك المهنة الجليلة القدر.

وسنحاول الحديث عن عملية الإعداد هذه والتي كان طالب العلم يعتني بها بنفسه أو يقوم بها المعلم من خلال وسائل التعليم وتعامله مع طلابه.

أولا: الجوانب العقلية في إعداد المعلم:

من خلال تأملنا لتراجم فقهاء الشافعية نجدهم قد اتصفوا بكثير من الصفات العقلية التي تدل على اهتمامهم بهذه الناحية. من هذه الصفات

١. **الـذكاء:** من خلال اطلاعنا على أهم صفات فقهاء الشافعية نجد أن معظمهم اتصف بالذكاء.

"قال الحافظ السلفي في حديثه عن الطوسي. حضرت مجلس وعظه بهمذان وكنا في رباط واحد... وكان أذكى خلق الله وأقدرهم على الكلام"[١].

ويقول الإمام السبكي في حديثه عن عبد الوهاب المراغي: وكان إماماً في علمي الكلام والأصول ذا قريحة صحيحة وذهن صحيح وذكاء مفرطا[٢].

وفي حديثه عن علي بن عبد الكافي السبكي: كان ذهنه أصح الأذهان وأسرعها نفاذاً وأوثقها فهماً[٣].

وفي حديثه كذلك عن الشاطبي. كان ذكي القريحة، قوي الحافظة يتوقد ذكاءً[٤].

وكذلك في حديثه عن الإمام العلامي (ابن بنت الأعز) كان ذكي الفطرة، حاد القريحة، صحيح الذهن... ذا رأي سديد وذهن ثاقب[٥].

٢. **مراعاتهم لنفسية تلاميذهم ورغباتهم:**

حكي عن أبي الخير الطالقاني لما دعي إلى تدريس النظامية جاء بالحلقة وحولها الفقهاء وهناك المدرسون والصدور والأعيان. فلما استقر على كرسي التدريس، وقرئت الربعة الشريفة ودعي دعاء الختمة. ألتفت إلى الجماعة قبل الشروع في إلقاء الدرس. وقال: من أي كتب التفاسير تحبون أن أذكر؟ تعجبوا

---

(١) المرجع السابق، ج٦، ص٦٠.
(٢) المرجع السابق، ج١٠، ص١٢٣.
(٣) المرجع السابق، ج١٠، ص١٩٥.
(٤) المرجع السابق، ج٧، ص٢٧٢.
(٥) المرجع السابق، ج٨، ص٣١٨.

كتاباً، فقال. من أي سورة تريدون؟ فعينوا. وذكر لهم ما أرادوا. وكذلك فعل في الفقه والخلاف ولم يذكر إلا ما عين الجماعة له. فعجبوا لكثرة استحضاره[1].

ذلك أن مراعاة رغبة التلاميذ لها أثر كبير في بقاء أثر التعلم وفهم ما يقال لهم واستيعابه ونظراً لما في ذلك من إثارة لدافعيتهم.

"وفي حديثه عن أحمد بن مكيّ، كان يقول في الدرس: عينوا آية لنتكلم عليها، فإذا عينوها تكلم بعبارة فصيحة و علم غزير كأنما يقرأ من كتاب"[2].

٣. **الإلمام بالمادة العلمية من جميع جوانبها (غزارة العلم):**

لو تتبعنا تراجم هؤلاء الفقهاء سنجد أنهم يتصفون بغزارة العلم وإلمامهم بالعلوم المساعدة لتخصصهم.

يقول السبكي في أبي الخير الطالقاني أنه فسر القرآن من أوله إلى آخره في ليلة واحدة، فأبلس الناس من قوة حفظه وغزارة علمه[3].

وهذا الإمام الغزالي يقول فيه تلميذه محمد بن يحيى الغزالي هو الشافعي الثاني وقال أسعد المهيني لا يصل إلى معرفة علم الغزالي وفضله إلا من بلغ أو كاد يبلغ الكمال في عقله[4].

"وقد بلغ الأمر به إلى أن أخذ في التصنيف، وأحد في التصانيف المشهورة التي لم يسبق إليها مثل إحياء علوم الدين، والكتب المختصرة منها مثل الأربعين التي من تأملها علم محل الرجل من فنون العلم[5].

---

(١) المرجع السابق، ج٦، ص١٠.
(٢) المرجع السابق، ج٨، ص٣١
(٣) المرجع السابق، ج٦، ص١١
(٤) المرجع السابق، ج٦، ص٢٠٢.
(٥) المرجع السابق، ج٦، ص٢٠٦.

ويقول الإمام السبكي كذلك في أبي أيوب اليماني الفاشي: "جمع علوماً في التفسير والقرآن والحديث واللغة والنحو والكلام والفقه والخلاف والحساب"[1].

"وفي حديثه عن ابن عساكر يقول: حفظٌ لا تغيب عنه شاردة... وسعة علم أثرى بها وترك الناس كلهم بين يديه ذوي فاقة"[2].

وهكذا نرى انهم كانوا بحاراً في العلم لا يتصدون للتدريس قبل أن يغوصوا في بحار العلم ويغترفون من كل فن.

"وقال ابن النجار: سمعت شيخنا عبد الوهاب بن الأمين يقول كنت يوماً مع الحافظ أبي الحافظ بن عساكر، وأبي سعد شيخنا فاستوقفه ابن السمعاني ليقرأ عليه شيئاً وطاف على الجزء الذي هو سماعه في خريطته فلم يجده، وضاق صدره، فقال له ابن عساكر ما الجزء الذي هو سماعه فقال "كتاب البعث والنشور لابن أبي داود"، سمعه من أبي نصر الزينبي، فقال له لا تحزن وقرأه عليه من حفظه أو بعضه"[3].

فهذه القصة تبين لنا ما كانوا عليه من العلم الغزير. "وهذا الإمام أبي السعادات عبد الدهان النحوي الضرير كان متضلعاً في علوم كثيرة، إماماً في النحو واللغة، والتصريف والعروض، ومعاني الشعر، والتفسير والإعراب، ونعليل القراءات، عارفاً بالفقه والطب، وعلم النجوم، وعلوم الأوائل[4].

كيفية إعدادهم لهذا الجانب:

أما عن وسائلهم لتنمية الجوانب العقلية عند المعلمين فكانت تتم وهو في مراحل التعليم الأولى من خلال تركيز المعلمين على أساليب التعليم التي من شأنها

---

[1] المرجع السابق، ج٧، ص١٥.
[2] المرجع السابق، ج٦، ص٢١٦.
[3] المرجع السابق، ج٧، ص٢١٩.
[4] المرجع السابق، ج٨، ص٣٥.

تنمية الجوانب العقلية ومن ذلك:

- **إعطاء الفرصة للطلبة للمناقشة والاعتراض ولكن بسورة غير مخلة بالآداب.**

"يقول أبو الخير الطالقاني مضيت مع محمد بن يحيى إلى الشيخ عبد الرحمن الأكاف الزاهد فلما جلس مع الشيخ عبد الرحمن تكلم الشيخ عبد الرحمن في شيء من مسائل الخلاف والجماعة ساكتون تأدباً معه وأنا لصغر سني وحدة ذهني اعترض عليه وأنازعه والفقهاء يشيرون إلي بالإمساك وأنا لا ألتفت".

فقال لهم الشيخ عبد الرحمن دعوه فإن هذا الكلام الذي يقوله ليس هو منه إنما هو من الذي علمه(١).

"ويقول الإمام السبكي في أحمد بن مكي إذا حضر عند أحد درساً سكت إلى أن يفرغ ذلك المدرس. ويقول ما عنده مما بينه، فيبتدأ ابن مليٍّ ويقول ذكر مولانا كيت وكيت ويذكر جميع ما ذكره ثم يأخذ في الاعتراض والبحث"(٢).

- **تركيزهم على أسلوب المناظرة في التعليم وتشجيع طلبة العلم على المناظرة**

وهذا الإمام أبو المظفر الخوافيّ على إمام الحرمين ولازمه فكان من عظماء أصحابه وأخصاء طلابه يذاكره في ليلة ونهاره ويسامره علانية إذا دجا الليل وماح في أسراره والإمام يعجب بفصاحته ويثني على حسن مناظرته ويصفه بالفضل(٣)

- **عدم اقتصارهم على علم بل كانوا يشغلوا الطلبة بكافة العلوم**

"يقول الإمام الذهبي في الشيخ تاج الدين التبريزي كان ماهراً في علوم شتى.. ولازم شغل الطلبة بأصناف العلوم"(٤).

---

(١) المرجع السابق، ج٦، ص١٠
(٢) المرجع السابق، ج٨، ص٣١
(٣) المرجع السابق، ج٦، ص٦٣.
(٤) المرجع السابق، ج٦، ص١٤٤

وكذلك الإمام أبو بكر بن الدهان النحوي الضرير كان جيد القريحة، متضلعاً في علوم كثيرة، إماماً في النحو واللغة والتصريف والعروض، ومعاني الشعر، والتفسير والإعراب وتحليل القراءات، عارفاً بالفقه والطب، وعلم النجوم، وعلوم الأوائل[1].

فالمعلم الذي يتقن كل هذه العلوم لا بد أن يشغل طلبته بنصيب من كل هذه العلوم حرصاً منه على أن يكون غزير العلم كثير الاطلاع ليكون معلماً ناجحاً في المستقبل.

الإعداد الخلقي والإعداد الديني:

لقد حظي الجانب الديني والأخلاقي باهتمام شديد في عملية إعداد المعلم عند الفقهاء ومنهم فقهاء المذهب الشافعي فمن خلال دراستنا لحياة وسيرة هؤلاء الفقهاء من خلال كتاب الطبقات نجدهم قد اتصفوا بصفات خلقية ودينية كثيرة مما يدل على اعتنائهم الشديد أثناء التعليم على الإعداد الجيد لهذين الجانبين وسنتحدث عنها بشيء من الإيضاح.

أهم الصفات الدينية والخلقية عندهم:

- **دوام مراقبة الله تعالى والخوف منه:**

فهذه صفة اتصف بها فقهاء الشافعية: يقول الإمام السبكي في الشيخ أبو المظفر الخوافي... وكان ديناً ورعاً ناسكاً(٢).

وعن أبي الحسن المقري يقول في الإمام الدياحي: ما صعد كرسي وعظ فيما رأيناه لا أعلم ولا أعف ولا أورع من الشريف الدياجي(٣).

---

(١) المرجع السابق، ج٨، ص٣٥٤.
(٢) المرجع السابق، ج٦، ص٦٣.
(٣) المرجع السابق، ج٦، ص٨٨.

يقول الإمام السمعاني في الجنيد بن محمد القايني: كان إماماً فاضلاً متفنناً ورعاً... كثير العبادة، دائم التجهد(١).

وفي بن زيد الليثي يقول ابن السماني... كان يذنب املاءه بالوعظ النافع المفيد، وتخرج عليه جماعة كثيرة من الفقهاء والعلماء(٢).

وهذا يدل على اهتمامهم بعقد مجالس للوعظ في أمور الدين والتقوى والخوف مما يؤثر عنايتهم بالجانب الديني للمعلم.

صيانة العلم (عدم إذلال العلم والمحافظة على كرامته ووقاره فكانوا يبتعدون عن مواطن التهم وإن بعدت. وبالذات الابتعاد عن قصور الخلفاء والسلاطين وذلك لما لمحيء العلماء لهؤلاء من حطر كبير من حيث احتمال انزلاق العلماء في محارات ومماالأة ومنافقة أصحاب الجاه والسلطان وإضفاء الصفة الشرعية على كثير من ممارستهم الخطأ.

ويقول السمعاني في الفقيه أبو القاسم الحاكمي ... كثير العبادة ... لازم للسنة، غير ملتفت إلى الأمراء وأبناء الدنيا(٣).

وقال السمعاني في الإمام الجنيد يقول: إن السلطان أرادني على عمل لم أكن أطيقه وحبسني ... فاخترت سلامة الدين ولم أتعرض بشيء من الدنيا بشيء من ديني وصنت العلم عما لا يليق به(٤).

وهذا أبو العباس الموصلي يقول عنه الإمام السبكي "وكان السلطان ومن دونه

---

(١) المرجع السابق، ج٧، ص٥٥
(٢) المرجع السابق، ج٧، ص١٤٩.
(٣) المرجع السابق، ج٧، ص٤٩
(٤) المرجع السابق، ج٧، ص٥٦

يزورونه، ولا يعبأ بهم وكان لا يقبل من أحد شيئاً(١).

ومن شعر الإمام الطوسي:

إذا صحبت الملوك فالبس ... من التوقي أعز ملبس

وادخل إذا ما دخلت أعمى ... واخرج إذا ما خرجت أخرس(٢)

الزهد بالدنيا والتقلل منها قدر الإمكان بما لا يضر بنفسه وعياله:

فهؤلاء الفقهاء اتسموا بسمة الزهد، يقول الإمام السبكي في الشيخ البغوي: كان إماماً ورعاً زاهداً، وكان رجلاً مخشوشناً يأكل الخبز وحده فعدل في ذلك فصار يأكله بالزيت... (٣).

وفي الإمام أبو الحسن الواعظ يقول: كان والده من المتقدمين في الدنيا بواسط، وترك هو ما كان عليه والده وأهله، وطلب العلم وتزهد وسلك طريق الفقر والتجريد، وأكل الجشب ومجاهدة النفس(٤).

وهذا الفقيه أبو البركات ابن الأنباري النحوي كان له من أبيه دار يسكنها وحانوت ودار مقدار أجرتها نصف دينار في الشهر يقنع به ويشتري منه ورقاً، وسير إليه المستخيي خمسمائة دينار فردها، فقالوا له: اجعلها لولدك، فقال: إن كنت خلقته فأنا أرزقه(٥).

وكذلك الإمام الزاهد أبي حامد الغزالي كان له من الأسباب إرثاً وكسباً ما يقوم بكفايته ونفقة أهله وأولاده فما كان يباسط أحداً في الأمور الدنيوية، وقد

---

(١) المرجع السابق، ج٨، ص٤٢.
(٢) المرجع السابق، ج٦، ص٦٠.
(٣) المرجع السابق، ج٧، ص٧٥.
(٤) المرجع السابق، ج٧، ص١١٣.
(٥) المرجع السابق، ج٧، ص١٥٦.

عرضت عليه أموال فما قبلها، وأعرض عنها، واكتفى بالقدر الذي يصون به دينه، ولا يحتاج معه إلى التعرض لسؤال ومنال من غيره(١).

فهم بهذا الخلق كان قدوة لطلابهم مما يسهم في إعداد الجانب الديني والأخلاقي لعلم المستقبل.

- أن يطهر باطنه وظاهره عن الأخلاق الرديئة ويعمره بالأخلاق الفاضلة: مثل الابتعاد عن الغيبة والنميمة.

لذا يقول الإمام السبكي وقد كان الشيخ الإمام – رحمه الله – لا يغتاب أحداً لا ابن الكتناني ولا غيره(٢).

ومن الأخلاق الحميدة، حسن الخلق، الصبر والقناعة والشفقة والحلم.

لذا جاء في ترجمة الإمام علي بن عبد الكافي السبكي ... وأدب أعذب في القلب من الماء الزلال، وحلم لا يستقدم معه الأحمق لم أره انتقم لنفسه مع القدرة ولا شمت بعدو بعد النصرة بل يعفو ويصفح عمن أجرم(٣).

الميزة الكبرى في أن يتخلق المعلم بمثل هذه الأخلاقيات أن يحيي قوله مطابقاً لفعله:

ذلك أن التناقض في القول والفعل في شخصية المعلم أكثر ما يهز ثقة الطلاب به وبالتالي يفشل في تحقيق أهدافه لذا من خلال قراءتنا لتراجم هؤلاء الفقهاء أنهم اتصفوا بملازمة الفعل القول "كان الشيخ النووي جامعاً بين العلم والعمل"(٤).

---

(١) المرجع السابق، ج٦، ص٢١١
(٢) المرجع السابق، ج١٠، ص٣٧٨
(٣) المرجع السابق، ج١٠، ص١٥٥-١٥٩.
(٤) المرجع السابق، ج٧، ص٧٥

"جمع الفقيه ابن زيد الليثي بين العلم والعمل"(١).

من ضوابط اختيار المعلمين الإجازة:

فمن خلال تتبعنا لتراجم هؤلاء الفقهاء وجدنا أنه لم يكن يتصدر للتدريس إلا بإجازة من العلماء الكبار:

فهذا ابن هبة الله الجبني أجازه كل من الشيخ عزالدين بن عبد السلام، والشيخ نجم الدين البادرائي، والحافظ رشيد الدين العطار، وأبو شامة(٢).

وهذا الفقيه أبو حاتم السكي أجازه خلق كثير(٣).

وكذلك الفقيه زين الدين بن الكتنائي: حدث عن ابن عبدالدائم ثم بالإجازة وقرأ أصول الفقه على البرهان المراغي بدمشق وأقام بدمشق مرة ثم انتقل إلى مصروالإمام الهمذاني له إجازة من السلفي.

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق، ج١٠، ص٣٨٧.
(٣) المرجع السابق، ج٩، ص١٢٤.

العلاقة بين المعلم والمتعلم

لقد اهتم الفقهاء بموضوع العلاقة بين المعلم والمتعلم ودلك أن الفقهاء هم من كانوا يقومون بعملية التعليم ومادة التعليم هي غالباً القرآن الكريم والحديث الشريف فلابد هنا من شروط خاصة لطرفي العملية التعليمية.

والمتتبع لسيرة فقهاء الشافعية يلمح طبيعة العلاقة بين المعلم وطلابه وقد اتسمت هذه العلاقة بسمات منها:-

- أنها قائمة على الحنو والشفقة فهي علاقة والد بأبنائه.

يذكر الرافعي في كتابه "الأمالي" الفقيه أبي بكر العمركي يقول: كان والدي يديم ذكره، والثناء عليه، ويقول ربائي كما يربي الوالد الشفيق ولده وكان أستاذه في الأدب وجمع السير في الأخلاق، كما كان أستاذه في الفقه والحديث[1].

- من مظاهر الشفقة والرحمة (الوالدية):

نجد إكثارهم من مناداة طالب المعلم بـ يابني "حيث الشيخ شمس الدين الخابوري، قال: خرجت إلى زيارة الشيخ أبي بكر النالسي، ووقع في نفسي أن أساله عن الروح، ولما حضرت بين يديه، أنسيت من هيبته ما كان وقع في نفسي من السؤال، فلما ودعته خرجت إلى السفر، فسير خلفي بعض الفقراء فقال لي كلم الشيخ فرجعت إليه، فلما دخلت عليه قال لي يا أحمد، قلت لبيك سيدي، قال ما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى يا سيدي، قال اقرأ يا بني: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [سورة الإسراء:٨٥] يا بني شيء لم يتكلم فيه رسول الله ﷺ كيف يجوز لنا أن نتكلم فيه[2].

---

(١) المرجع السابق، ج٧، ص٣٠٣

(٢) المرجع السابق، ج٨، ص٣٠٤

فهذه القصة تدلنا على أسلوب تعامل المعلم مع طلابه بغض النظر عن كيفية معرفة الأستاذ لسؤال في خلد الطالب لم ينطق به قد تكون كرامة من كرامات الأولياء وقد أثبت الإمام السبكي كثيراً من هذه الكرامات نقع لهؤلاء العباد الزاهدين... .

فخطابه فيه لين وشفقة وحنو يظهر من خلال مناداته بـ يا بُني، وكذلك ترفقه في الإجابة دون زجر أو نهر.

ولأن المعلم بمثابة الوالد، كان يعاملهم معاملة حسنة ويتعهدهم بالرعاية ويتفقد من يغيب منهم ويسأل عن سبب الغياب.

يقول الشيخ الذهبي في ابن أبي عصرون: "كان يدرس في زاوية الدولعي، ويصلي صلاة حسنة... وسمعنا درسه مع أخي أبي عمر، وانقطعنا عنه، فسمعت أخي يقول: دخلت عليه بعد انقطاعنا، فقال: لِمَ انقطعتم عنا: فقلت: إن أناساً يقولون أنك أشعري. فقال: والله ما أنا بأشعري(١).

- **تعهدهم بالرعاية والمساعدة بما لديه من مال وجاه.**

يذكر الإمام السبكي في ترجمته للفقيه بهاء الدين أبو المحاسن ابن شداد "كان الملك الظاهر ينعم عليه بالأموال الجزيلة فتكاثرت أمواله، فعمر بحلب مدرسة ثم دار حديث ثم أنشأ بينهما تربة، وصار يكثر الأفضال على طلبة العلم، والطلبة تقصده من البلاد الثلاث اجتمعت فيه (العلم والمال والجاه) وما بخل بشيء منها[٢].

---

(١) المرجع السابق، ج٧، ص١٣٤.
(٢) المرجع السابق، ج٨، ص٣٦١.

- **ومن مظاهر هذه الشفقة (علاقة الوالدية):**

عدم إحجال الطالب واستعطام ما يذكره بين يدي معلمه ويوهمه أنه لم يكن يعرفها.

يذكر الإمام الصفدي حكاية عن الإمام علي بن عبد الكافي السبكي "كان كثير الحياء، لا يحب أن يخجل أحداً لقد قال له مرة بعض الطلبة بحضوري "حكى ابن الرفعة عن محلي وجهين في الطلاق، في قول القائل بعد يمينه إن شاء الله تعالى، هل هو رافع لليمين فكأنها لم توجد، أو تقول إنها انعقدت على شرط". فقلت أنا (الصفدي) هذا في الرافعي، أي حاجة إلى نقله عن ابن الرفعة، عن محلي فقال لي الشيخ الإمام: [اسكت] من أين لك؟ هات النقل وانزعج.

فقمت وأحضرت الجزء من الرافعي، وكان ذلك الطالب قد قام فوالله حين أقبلت به، قبل أن أتكلم، قال الذي ذكرته في أوائل كتاب الإيمان من الرافعي، وأنا أعرف هذا، ولكن فقيه مسكين طالب علم، يريد أن يظهر لي أنه استحضر مسألة غريبة يريد أنت أن تحمله هذا ما هو ملمح(١).

نستنتج من هذه الحكاية عدة أمور:

- حسن تعامل المعلم مع طلابه وضرورة مراعاة مشاعرهم وقد تجلى هذا في موقف الإمام علي بن عبد الكافي السبكي مع طالب العلم الذي ذكره مسألة وهو يعرفها.
- في هذا الموقف تدريب واعداد للمعلم في مهنته فأراد الإمام أن يعلم الفقيه الصفدي أخلاق مهنة التعليم في حسن المعاملة مع الطلبة.

---

(١) المرجع السابق، ج١٠، ص٢١٩-٢٢٠.

- ويقول الإمام السبكي في الفقيه وجيه الدين البهنسي حكي أن بعض الطلبة جلس بين يديه، وقال له: انظر في أمري، لي أربع سنين في هذا الموضع، وحفظت أربعة كتب، وجامكيتي أربعة دراهم وكسر الباء في الجميع، فقال له: يا فقيه، من بنى أربعتك على الكسر(١).
- وتظهر رحمته ورقته بقوله يا فقيه لئلا يخجله نبهه إلى خطأه بأسلوب المزاح.. فهذه مهارة لابد من تدريب المعلمين عليها لما فيها من حسنات جمة.

- **علاقة قائمة على الاحترام المتبادل بين المعلم والتلميذ:**

فكما أن المعلم كان يحنو ويشفق ويعامل طلابه معاملة الأقران، كذلك الطالب فقد كان يحترم شيخه ويوقره ويخدمه في أحيان كثيرة.

قال ابن القليوبي في مصنف في مناقب أبي طاهر بن الحسن الأنصاري: إن الفقيه أبا طاهر قصد مصر للاشتغال، وكان على حالة من القلة، ونزل المدرسة الصلاحية المجاورة للجامع العتيق ولم يحصل له بيت، بل خزانة يضع فيها كتابه وثوبه وكوزاً، و إبريقاً، وكان معه شيء من العنبر قال: فكنت أبخر ذلك الكوز، وإذا جاء العدد والتمس ماءً أتيته بذلك الكوز تقرباً إليه وخدمة له(٢).

وهذا الفقيه بهاء الدين القفطي أحد عنه العلم خلق كثير منهم ابن دقيق العيد، وكان يجله، وسافر إلى الصعيد لمجرد زيارته(٣).

وقال عبد القادر في الإمام السلفي... كان لا يبدو منه جفوة، لأحد ويجلس للحديث فلا يشرب ماءً، ولا يبصق، ولا يتورك ولا يبدو له قدم وقد جاوز المائة(٤).

---

(١) المرجع السابق، ج٨، ص
(٢) المرجع السابق، ج٨، ص٥٠.
(٣) المرجع السابق، ج٨، ص٣٩١.
(٤) المرجع السابق، ج٦، ص٣٧.

- **إخلاصه وتفانيه وهمته العالية في تعليم الطلاب:**

يقول الإمام السبكي في الفقيه عماد الدين البليسي ... أنه ولي تصدير المدرسة الملكية الجوكندا بالقاهرة أقام بها يشغل الطلبة من الظهر إلى العصر كل يوم خلا أيام الجمع والثلاثاء. لا يشغله عن ذلك شاغل. وكان مجتهداً في أشغال الطلبة. حتى إنه يأمرهم بالكتابة لما يشرحه لهم ويحفظونه ويستدعي عرض ذلك منهم(١).

وكان الشيخ المزي أعجوبة زمانه يقرأ عليه القارئ نهاراً كاملاً... يقط لا يغفل عند الاحتياج إليه... ولقد شاهدته الطلبة ينعس. فإذا أخطأ القارئ رد عليه... كأن شخصاً أيقظه(٢).

وقال ابن النجار: كان الإمام أبي الحسن الفارقي يتكلم على الناس في كل جمعة بعد الصلاة. بجامع القصر. يجلس على أحرنين. ويقوم قائماً إذا حمي في الكلام. وسئل أن يعمل له كرسي فأبى(٣).

وكذلك الشيخ كمال الدين بن قاضي شهبة كان محداً في تعليم الطلبة. يشغلهم مدة مديدة بالجامع الأموي(٤).

وهذا كله يدلنا على جدية فقهاء الشافعية في تعليم العلم واحترامهم لأوقات الطلبة فلا يشغلونها إلا في إفادتهم وتعليمهم.

---

(١) المرجع السابق، ج٩، ص١٢٩
(٢) المرجع السابق، ج١٠، ص٣٩٧.
(٣) المرجع السابق، ج٦، ص١٣٧.
(٤) المرجع السابق، ج١٠، ص١٢٤

- **علاقة قائمة على التجديد والتنويع بعيدة عن الجمود والروتين..**

فكانوا ينوعون في مجلسهم العلمي بين الفنون لإبعاد الملل والسآمة عن نفوس المتعلمين لذلك نجد الإمام السبكي كان نخبة الزمان، جليسه لا يمله، درسه بستان حوى العلوم ، ونزهة نزيل هم كل مهموم، ساعة في الفقه، وساعة في النحو، وساعة في حكايات مستطرفة وأشعار مستلحلفة(١).

وكذلك الفقيه ابن خطيب جبرين كان رجلاً فاضلاً متفنناً يشغل الطلبة في غالب الفنون(٢).

- **علاقة قائمة على احترام العلم وعقلية المتعلمين ومن مظاهر هذه العلاقة:**

عدم التحرج من قول لا أدري أو لا علم لي بهذا.

ويروي الإمام السبكي عن الفقيه الحسن بن شرف شاه العلوي **الاستراباذي:** أنه كان مدرساً بماردين هناك مدرسة تسمى مدرسة الشهيد، فدخلت عليه يوماً امرأة فسألته عن أشياء مشكلة في الحيض، فعجز عن الجواب فقالت له المرأة: أنت عذبتك واصله إلى وسعك وتعجز عن جواب امرأة؟ قال لها: يا خالة لو علمت كل مسألة أسأل عنها لوصلت عذبتي إلى قرن الثور(٣).

لهذه القصة دلالات منها:

- تواضع العالم المعلم فلا يدعي الكمال في العلم.
- ملاطفة المعلم ورفقه بطالب المعلم حتى وإن أساء الأدب معه.

---

(١) المرجع السابق، ج٩، ص١٣٠.
(٢) المرجع السابق، ج١٠، ص١٢٦.
(٣) المرجع السابق، ج٩، ص٤٠٨.

- عدم الحياء في العلم فلا يمنع الطالب حيائه من السؤال والاستفسار.
- اعتناء النساء بالتفقه في أمور الدين.
- عدم الاكتفاء بعرض المعلومات بل يذكر الآراء حول المعلومة والقيام بتحليلها.

وهذا ما كان يقوم به الفقيه محمد بن عباس بن أرسلان الخوارزمي حيث قرأ شرح المهذب للصيدلاني في محلدات وأتى على حفظه جميعه، فربما كان يسأل عن مائة مسألة في مجلسه في مواضع مختلفة، ويجيب عنها على الفور، من غير تردد ولا تخبط ويذكر ما فيها من القولين والتنبيه على الجوابين ويذكر عللها[1].

والإمام الشهرزوري الموصلي، قال فيه ولده الإمام الرافعي... والدي ممن خص بعفة الذيل والبراعة في العلم حفظاً وضبطاً، ثم اتقاناً وبياناً وفهماً ودراية، ثم أداء ورواية[2].

وكذلك الفقيه العمراني اليماني قد يركز على اقتناع الطلبة بالمسائل: "فقد قيل أنه كان يقرر للطالب الفصل من المهذب ثم يعيده هو على الطالب حفظاً، ثم ينبهه على خلاف مالك وأبي حنيفة خاصة، وقد يذكر معهما غيرهما ثم يذكر احترازات (المهذب)، ثم يذكر الأدلة، ويقرر الأقيسة بأوضح عبارة، ويكررها بعبارات مختلفة إلى أن ترسخ في ذهن الطالب(٣).

وهذا واضح عند الإمام علاء الدين الباجي "كان فقيهاً متقناً، سمعت بعض أصحابه يقول: كان الباجي لا يفتي بمسألة حتى يقوم عنده الدليل عليها، فإن لم ينهض عنده قال مذهب الشافعي كذا أو الأصح عند الأصحاب كذا ولا يجزم(٤).

---

(١) المرجع السابق، ج٦، ص١٠٧-١٠٨.
(٢) المرجع السابق، ج٦، ص١٣١.
(٣) المرجع السابق، ج٦، ص١٣١.
(٤) المرجع السابق، ج٧، ص٣٠٣.

علاقة تقوم على حرص المعلم على توجيه المتعلم إلى ما فيه خيرة وصلاحه من حيث اختياره التخصص المناسب لطبعه أو من خلال إثارة دافعيته للتعلم.

يذكر الإمام السبكي في ترجمة ابن الخضر بن موسى التوني تفقه بدمياط على الأخوين الإمامين، أبي المكارم وأبي عبد الله الحسن [أبي الحسن] بن منصور السعدي، وسمع بها منهما، ومن الشيخ أبي عبد الله محمد بن موسى بن النعمان وهو الذي أرشده لطلب الحديث بعد أن كان مقتصراً على الفقه وأصوله، ثم انتقل إلى القاهرة(١).

وكذلك في حديث الإمام السبكي عن الإمام علي بن عبد الكافي السبكي ونقاش الطلبة من مراقد الخمول ومقاعد الونى عن أوائل الحمول، حتى نفضت لكواكبهم عن مقلها الكرى (النوم) ورفضت سحائبهم إلا مواصلة السرى إلى أن أكثر العلم وطالبه(٢).

وأيضاً ما ذكره الإمام السبكي في الإمام الغزالي - رحمه الله - قام بالتدريس في المدرسة الميمونة النظامية وكان الطلبة يستفيدون منه ويدرس لهم ويرشدهم ويحتهد في نفسه(٣).

- تربية الأطفال تعليمهم:

في الحقيقة لم أعثر على نصوص من تراجم هؤلاء الفقهاء يتعلق بتربية الطفل مباشرة وأنما عثرت على إشارة إلى هذا في بداية طلب الإمام تاج الدين السبكي العلم، وهو كان صغيراً، فمعلم طلبه العلم عندهم كانوا يبدأون طلبه في وقت مبكر.

---

(١) المرجع السابق، ج١٠، ص١٠٣.
(٢) المرجع السابق، ج١٠، ص١٥٤.
(٣) المرجع السابق، ج٦، ص٢٠٥.

يتحدث الإمام تاج الدين السبكي عن الإمام علي بن عبد الكافي السبكي تفقه في صغره على والده، وكان من الاشتغال على جانب عظيم... وكان الله تعالى قد أقام والده ووالدته للقيام بأمره... (١).

وهذا يدل على اعتنائهم بتعليم أبنائهم منذ الصغر، إيماناً منهم بأن العلم ينفع ويبقى إذا غرسناه في عقل الطفل.

- تعليم النساء:

اهتم فقهاء الشافعية بتعليم النساء حتى إن معظم الفقهاء أخذوا العلم عن شيخات عالمات. يقول الإمام السبكي: أخبرنا المشايخ والدي الشيخ الإمام - رحمه الله - فيما قرأه من لفظه والمسندة زينب بنت الكمال أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسي قراءة عليها وأنا أسمع فاطمة بنت إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر، بهذه القراءة التي قرأها والدي - رحمه الله عليها - وأنا أسمع له قارناً ومستمعاً(٢).

وهذا يدل على اعتناء المرأة بالتعلم والتعليم. فوجود هؤلاء النساء والرواية عنهن يدل على أن المرأة عندهم لها شأن عظيم في العلم.

وقد ذكر الإمام السبكي كثيراً من هذه الروايات التي تروى عن بعض النساء المحدثات

وقد سمع الإمام ابن عساكر خلائق وعدة شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ ومن النساء بضع وثمانون امرأة.

---

(١) المرجع السابق، ج١٠، ص١٤٤

(٢) المرجع السابق، ج، ص.

- مؤسسات التعليم (التربية) عندهم:

أغلب الأماكن التي كانت تمارس بها العملية التعليمية من خلال دراستي لتراجم هؤلاء الفقهاء هي المدارس والمساجد.

فهذا الفقيه أبو البركات الدمشقي كان مدرس الغزالية والمجاهدية، بنى له نور الدين مدرسة ودرس بها(١).

وكذلك ابن تمام السبكي: درس بالمدرسة الكهارية وولي الإعادة بدرس القلعة عند القاضي شهاب الدين بن عقيل، ثم عاد إلى الشام، ودرس بالمدرسة الدماغية، وولي نيابة الحكم عن والده ثم درس بالمدرسة الشامية البرانية، وكان يلقي بها دروساً حسنة مطولة، ثم بالمدرسة العذراوية[٢].

وقد درس الإمام صدر الدين بن المرحل بدمشق بالشاميتين والعدراوية، درس في آخر عمره بالقاهرة بزاوية الشافعي، والمشهد الحسيني، وهو أول من درس بالمدرسة الناصرية[٣].

وكذلك وجدت أن معظم فقهاء الشافعية ممن غلب عليهم طابع التصوف لذا نجد أن الخوانق كانت من أماكن التعليم عندهم.

فالإمام علاء الدين القونوي درس بدمشق بالمدرسة الإقبالية، ثم قدم القاهرة، وأقام بها مدة في غاية من الفقر مع غرة النفس إلى أن ولي تدريس الشريعية ومشيخة الخانقاه الصلاحية[٤].

---

(١) المرجع السابق، ج٧، ص٨٣.
(٢) المرجع السابق، ج٩، ص٤١٢.
(٣) المرجع السابق، ج٩، ص٢٥٤.
(٤) المرجع السابق، ج١٠، ص١٣٤.

والفقيه محمد بن احمد الدياحي كان يعقد المجلس في جامع الخليفة وبالمدرسة النظامية، وينظر في مسائل الخلاف نظراً حسناً(١).

وقد اشتهرت مدارس عدة كانت تعقد بها مجالس العلم لدا يمكننا القول بأن أهم مؤسسات التعليم عندهم هي.

- **المدارس:** ومن أشهر هذه المدارس التي درس بها الفقهاء الشافعية:
  - المدرسة النظامية في بغداد من أشهر مدرسيها الفقيه أبو الخير الطالقاني، أبو العباس الأنباري، ابن شقران الرهري الدياجي، للإمام الغزالي.
  - المدرسة الطاهرية بالقاهرة: من أشهر مدرسيها ابن رزين الحموي.
  - المدرسة الرواحية والمدرسة المعزية أشهر مدرسيها شمس الدين الأصبهاني
  - المدرسة الناصرية الصلاحية من أشهر مدرسيها أبو العباس بن النحار.
  - المدرسة الكمالية القضوية من أشهر مدرسيها أبو العباس الانباري

خوانق الصوفية:

فقد اتخذ الإمام الغزالي في جواره مدرسة لطلبة العلم وخانقاه للصوفية(٢).

- **الحلقات التي كانت تعقد في المساجد:**
  - حلقة صاحب حمص درس بها الفقيه خليل بن كيلكدي.
  - حلقة المجلس في جامع الخليفة درس بها الإمام الدياحي.
  - مسجد المنارة فوض التدريس فيها إدريس بن حمزة الرملي.
  - جامع دي أشرق درس فيه عبد الله بن عبد الرازق بن زاهر.
  - الزاوية الغزالية بدمشق، من أشهر مدرسيها أبو الحسن السلمي.

---

(١) المرجع السابق، ج٦، ص٨٩.
(٢) المرجع السابق، ج٦، ص٢١٠.

- حلقة في الجامع الأموي كان يشتغل فيها الإمام برهان للدين المراغي.
- حلقة الجامع الظافري بمصر درس فيها القاضي أبو إسحاق.

ولم يذكر شيء عن كيفية إدارة هذه المدارس. ولكن وجدت الباحثة نصاً جاء فيه: "أفتى ابن عدلان في وافق مدرسة على الفقهاء والمتفقهة ومدرس ومعيدين وحصاصة عينهم، قال: ومن شروط المذكور أن لا يشتغلوا بمدرسة أخرى غير هذه المدرسة، ولا يكون لواحدة منه تعلق بمدرسة أخرى، ولا مباشرة بتجاوز ولا بزاوية يعرف للمقرر في هذه المدرسة الجمع بينها وبين إمامة مسجد قريب منها"[1].

نستخلص من النص السابق:

يشترط في المدرسين والمعيدين الذين يعينوا في هذه المدرسة الموقوفة على الفقهاء والمدرسين:

- عدم اشتغالهم بمدرسة أخرى غير هذه المدرسة وذلك لضمان تفرغهم الكامل للتعليم في هذه المدرسة.
- عدم تعلقهم بمدرسة أخرى ولا مباشرة بتجاوز.
- عدم اشتغاله بحرفة أخرى غير تجارة الكتب وذلك أيضاً للاطمئنان على غزارة علمه وتمكنه من العلم بصورة يفيد معها طلبة العلم لأن تعلق الشخص واشتغاله بأمور الدنيا قد يلهيانه عن تحصيل العلم والسعي المتواصل لزيادة ومواكبة المستحدات في العملية التعليمية.
- الترخيص بالجمع بينها وبين إمامة مسجد قريب وذلك لأن كليهما فيه تعليم.

---

(١) المرجع السابق، ج٩، ص٩٩

وهذا يدل على أنهم كانوا يعطونهم أجورهم على التعليم فلا يحتاجون لحرفة أخرى يتكسبون منها.

* **التقويم:**

اهتم الشافعية بعملية التقويم سواء ما يتعلق بتقويم المتعلمين أو تقويم المعلمين، ما يتعلق بتقويم المتعلمين. يذكر الإمام السبكي في ترجمة الإمام الذهبي "دخل إلى شيخ الإسلام ابن دقيق السعيد وكان شديد التحري في الإسماع، قال له من أين جئت. قال من الشام. قال بمَ تعرف؟ قال: بالذهبي. قال من أبو طاهر الذهبي. فقال له المخلص. فقال أحسنت. فقال: من أبو محمد البلالي. قال سفيان بن عيينة. قال: أحسنت. أقرأ ومكنه من القراءة عليه حينئذ إذ رآه عارفاً بالأسماء[1].

من الدلالات التربوية لهذا النص:

- استخدام أسلوب ما يعرف بالتقويم التمهيدي حيث يختبر المعلم معرفة الطالب السابقة لمعرفة مستواه العقلي والعلمي، عندما سأله عن الذهبي والبلالي.
- استخدام اسلوب التعزيز لطالب العلم إن أجاب بإجابة صحيحة وبالتالي عدم تعنيفه إن أخطأ. ويظهر هذا من قول الإمام ابن دقيق العيد للذهبي بعد كل إجابة صائبة بـ (أحسنت).

أما ما يتعلق بتقويم أداء المعلم فقد وجدت نصاً ربما يكون فيه إشارة ودلالة على استخدام اسلوب التقويم للمعلم من قبل التلاميذ.

---

(١) المرجع السابق، ج٩، ص١٠٢.

يقول الإمام السبكي في ترجمته للفقيه أحمد بن علي بن رفاعة كان سيدي أحمد في المجلس، فقال لأصحابه أي سادة أقسمت عليكم بالعزيز سبحانه من كان يعلم فيّ عيباً فليقله فقام الشيخ عمر الفاروقي، فقال: أنا أعلم عيبك؛ أن مثلنا من أصحابك فبكى الشيخ... (١).

فالدلالات التربوية لهذا النص هي:

اهتمام المعلم عند فقهاء الشافعية بالتأكيد على تقييم طلابه له وذلك لما لهذا التقويم من فائدة للمعلم لتصويب الخطأ الذي قد يبدو إما في تعامله مع طلابه أو في أسلوب تدريسه مما يؤكد حرصهم على الارتقاء بالعملية التعليمية إلى أفضل مستوى.

احترام وتقدير طلبة العلم لأستاذهم وتواضعهم الشديد وعدم اغتراراهم بأنفسهم.

اتصاف المعلم بصفات التقوى والتواضع وعدم حسن الظن بالنفس بل اتهامها دائماً بالتقصير.

*** طرق وأساليب التدريس:**

إن لطرق وأساليب التدريس التي يستخدمها المعلم لعرض مادته العلمية أكبر الأثر في إنجاح عملية التعليم وتحقيق الأهداف المنشودة لذا اعتنى فقهاء الشافعية باستخدام الأساليب وطرق تدريس متنوعة ومن أهم هذه الطرق والأساليب.

---

(١) المرجع السابق، ج٦، ص٢٤.

١. أسلوب المناظرة:

اعتنى فقهاء الشافعية بأسلوب المناظرة في التعليم لما لهذا الأسلوب من فائدة عظيمة في شحد ذهن المتعلم وتنمية التفكير واستخدام الحجة والبرهان في إثبات الأحكام.

فكان فقهاء الشافعية جميعهم من فحول المناظرين وقد دارت بينهم مناظرات علمية كثيرة كانوا فيها من الملتزمين بأداب المناظرة.

يقول الإمام السبكي: "إن ابن داود الكناني أفتى وناظر ودرس وأفاد وجرت مناظرة بينه وبين الشيخ الإمام الوالد – رحمه الله – في حد الورع. لا يحضرني منها إلا أنه ادعى أن الورع ترك الشبهة، وإن الشيخ الإمام الوالد قال: الورع مراتب أدناها، اجتناب الكبائر"(١).

وكذلك وجد أن الفقيه سيف الدين الآمدي كان يعقد مجلساً للمناظرة(٢).

وكان بعضهم يفوق بعضاً في المناظرة: يقول الإمام السبكي "وكان الباجي أذكى وأقدر على المناظرة من الهندي(٣).

وقد كان هؤلاء المناظرين يلتزمون بأدب المناظرة.

فقد كان الفقيه أحمد بن محسن ابن ملّي إذا حضر عند أحد درساً سكت إلى أن يفرغ ذلك المدرس، ويقول ما عنده مما بينه فيبتدأ ابن مليّ ويقول: ذكر مولانا كيت وكيت، ويذكر جميع ما ذكره، ثم يأخذ في الاعتراض والبحث(٤).

فإذا كان دأبهم في المناظرة الوصول للحقيقة مع احترام كل من المتناظرين

---

(١) المرجع السابق، ج٩، ص٩٨.
(٢) المرجع السابق، ج٨، ص٣٠٧.
(٣) المرجع السابق، ج١٠، ص٣٤٠.
(٤) المرجع السابق، ج٨، ص٣١.

لرأي الآخر فما كان اختلافهم في الفكر والرأي ليخرجهم عن أدب الحوار والنظار.

٢. اسلوب المذاكرة والسماع:

وقد استخدم هذا الأسلوب بكثرة نظراً لأن المادة العلمية غالباً ما كانت نصوص من القرآن والسنة ومسائل الفقه فقد قرأ ابن الجميزي القراءات العشر على ابن أبي عصرون(١).

وقال السلفي: قرأ لتذوخي علي كثيراً من الحديث وعلقت عنه فوائد أدبية. وسمع الحديث وقرأ القرآن على أبي الحسن الخشاب(٢).

وقد أورد الإمام السبكي كثيراً من هذا القبيل الذي يدل على استخدامهم أسلوب المذاكرة والقراءة على الشيخ أو السماع منه.

يقول. أخبرنا الوالد – رحمه الله – قراءة عليه. وأنا أسمع أخبرنا شيخنا أبو الحسن الناجي بقراءتي عليه عوداً على بدء أخبرنا أبو العباس.. (٣).

وهذا الفقيه أبو المظفر الخوافي تفقه على إمام الحرمين وأخصاء طلابه بذاكرة في ليله ونهاره... (٤).

٣. أسلوب التكرار:

كانوا يعتمدون أسلوب التكرار في الدروس ولذلك لما له من فائدة في ترسيخ المعلومة في الذهن.

فقد كان الفقيه أبو علي الفارقي يحفظ المهذب والشامل وكان يقول لنا إذا حضرنا للدرس بين يديه: كررت البارحة الربع الفلاني من المهذب وكررت البارحة

---

(١) المرجع السابق، ج٨، ص٣٠٣.
(٢) المرجع السابق، ج٦، ص١٦.
(٣) المرجع السابق، ج١٠، ص٣٤٥.
(٤) المرجع السابق، ج٦، ص٦٣.

الأولى الربع الفلاني من الشامل(١).

وعن الإمام الكيا الهراسي قال فيه عبد الغافر: ... كان يعيد الدرس على جماعة حتى تخرجوا به. وكان مواظباً على الإفادة والاشتغال.

وعن الكيا. قال. كانت في مدرسة سَرْخَك نيسابور قناة لها سبعون درجة وكنت إذا حفظت الدرس أنزل القناة وأعيد الدرس في كل درجة مرة في الصعود والنزول. قال. وكذا لكنت أفعل في كل درس حفظته. وفي بعض الكتب أنه كلما كان يكرر الدرس على كل مرقاة من مراقي درج المدرسة النظامية نيسابور سبع مرات. وأن المراقي كانت سبعين مرقاة وكان يحفظ الحديث ويناظر فيه(٢).

وذكر عن الإمام ابن أبي الطاعة القشيري ... ربما استوعب الليلة فطالع فيها المجلد أو المجلدين وربما تلا آية واحدة فكررها إلى مطلع الفجر... استمع له بعض أصحابه ليلة وهو يقرأ. فوصل إلى قوله ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [سورة المؤمنون:١٠١] قال فما زال يكررها إلى طلوع الفجر(٣).

٤. استخدام وسائل إيضاح وشرح وبيان للموقف التعليمي:

فلم يقتصر فقهاء الشافعية أثناء التعليم على طرح المعلومة للطلاب بل كانوا يسهلونها ويوضحونها بالشرح والبيان.

فتارة باستخدام أسلوب التمثيل من البيئة الصعبة "كان الشيخ أبو طاهر محمد بن الحسين الأنصاري مرة في الدرس في باب النية إلى أنه يستحب لمن وهب لأولاده أن يسوي بينهم. ثم أخذ يمثل بابني السطحي. وهما أخوان طالبان في

---

(١) المرجع السابق، ج٧، ص٥٨.
(٢) المرجع السابق، ج٧، ص٢٣٢.
(٣) المرجع السابق، ج٨، ص٢١١.

الدرس، فقال: كما لو وهب والدُ هدين لأحد هما دواة وترك الآخر، فقال أحدهما: والله يا سيدنا هكذا اتفق(١).

وأحياناً يتم من خلال الإيضاح لتصويب ما يقع من خطأ من الطلبة.

يقول الإمام السبكي: حضرت عند الإمام المزي قارئاً عليه فانتهى إلى حديث المصراة قال: "لا تصُرُوا الإبل والبقر والغنم" بفتح التاء وضم الصاد، فقال له الشيخ: تُصَرُوا" أي بضم التاء وفتح الصاد، فقال القارئ: وهو من فضلاء عصرنا كيف؟ قال: مثل نُصَلوا، تُزكوا، وأخذ يسترسل في ذكر أخوات اللفظة"(٢).

*** المناهج والمقررات الدراسية:**

لاحظنا من خلال دراسة ترجمة هؤلاء الفقهاء أنهم كانوا يشغلون الطلبة بكافة الفنون ولكن هذا لا يعني أنها كانت كلها بنفس الرتبة والأهمية لدا وجدنا أنهم كانوا يركزون على عدة علوم منها:

أ. علوم الدين كالقرآن والحديث والتفسير والفقه:

نلاحظ من أجل اهتمامهم كان بتدريس هذه العلوم لأنها تعتبر المقصد من التعليم عندهم وهو تعريفهم بدينهم وتقربهم إلى الله عزّ وجل.

وقد قيل في الإمام صلاح الدين الصفدي شعراً.

متـــدرع ثـــوب التقـــى حصـــناً وتقـــوى الله جُـــنة

متفـــنن بـــحـــر إذا حاربته لـــم تـــدر فـــه

إلى القول

وعلـــوم الديـــن لـــم يُحـــلّ حاياهـــا فرصـــاً وســـنة(٣)

---

(١) المرجع السابق، ج٨، ص٥٤.
(٢) المرجع السابق، ج١٠، ص٤٢٩.
(٣) المرجع السابق، ج١٠، ص١١.

ويقول الإمام السبكي في الإمام أبي الخير الطالقاني: كان كثير الخير موفر الحظ من علوم الشرع حفظاً وجمعاً ونشراً[1].

ب. العلوم المساعدة لمعرفة علوم الدين كالنحو والصرف واللغة:

فقد كان فقهاء الشافعية متضلعين بعلوم اللغة والنحو والصرف فابن الحيراني كما يقول عنه الإمام السبكي كان يعرف اللغة والفقه والشعر(٢).

وكنا ذكرنا سابقاً عن الفقيه عماد الدين البلدبسي كان يشغل الطلبة ساعة في الفقه، وساعة في النحو، وأشعار مستلطفة.

وفي قصيدة للإمام علي بن عبد الكافي السبكي يشير إلى أهمية تعلم النحو فيقول:

وتعلم النحو الذي يدني الفتى
من كل فهم في القرآن مسدد(٣)

تعلم النحو يساعد على فهم معاني القرآن الكريم ودلالاته وأحكامه.

ج. العلوم الدنيوية التي سيستفيد منها الإنسان في أمور حياته كالطب والخياطة والأنساب..

فمن شعر الإمام علي بن عبد الكافي السبكي

اعلم هداك النفس يا حبب ... أن السعيد العالم الأديب
وهو الذي حوى العلوم كلها ... وفاك مشكلها وحلها
كالفقه والأصلين والتوريث ... والنحو والتصريف والحديث

---

(١) المرجع السابق، ج٦، ص.
(٢) المرجع السابق، ج٧، ص٣١٨
(٣) المرجع السابق، ج١٠، ص١٧٧.

إلى أن يقول:

والطب للأبدان والقلوب وكل علم نافع مطلوب(١)

وهكذا نرى وأنهم يحثون على طلب كل علم نافع للإنسان في دينه ودنياه.

ونرى أن الفقيه أبا نصر الخرجردي أنه قرأ طرفاً من الأدب وأمعن في حفظ التواريخ والفتوح والملامح وكان يحفظ شيئاً كثيراً من النتف والطرف نظماً ونثراً ومواليد الناس ووفياتهم(٢).

سكنى المدرسين (المعلمين):

لما كان البحث عند فقهاء الشافعية كان لا بد أن نتعرض لأماكن سكنى هؤلاء الفقهاء.

لقد تبين لي من خلال دراستي لطبقات الشافعية الكبرى لهؤلاء الفقهاء وجدت أن أغلب المعلمين كانوا يقيمون في الأماكن التي يدرسون فيها. **ومن هؤلاء المعلمين:**

- الفقيه إدريس بن حمزة بن الرّملي فقد فوض إليه التدريس لأصحاب الشافعي في مسجد المنارة وسكنها إلى أن توفي بها(٣).
- الفقيه عماد الدين البليسي ولي تصدير المدرسة الملكية الجوكندا بالقاهرة أقام بها.. (٤).
- الفقيه علي بن محمد الأرجيشي· أقام بحلب معيداً بمدرسة الزجاجين قانعاً باليسير من الرزق فإذا زيد شيئاً لم يقبله، ويقول· في الواصل إليّ كفاية وكان

---

(١) المرجع السابق، ج١٠، ص٣٤٥.
(٢) المرجع السابق، ج٧، ص١٥٥.
(٣) المرجع السابق، ج٧، ص٤١.
(٤) المرجع السابق، ج٨، ص١٢٩

مقدار ذلك اثنتي عشر درهماً، قال: لقيته وأقمت معه بالمدرسة فوجدته كثيراً العبادة والصمت[1].

- الإمام شمس الدين الأصبهاني: قدم مصر فدرس بالمعزية وأقام بها إلى حين وفاته[2].

علاقة المعلمين بعضهم ببعض:

كانت العلاقة بين المعلمين قائمة على المودة والاحترام بين هؤلاء الفقهاء وكلٌ يقدر علم الآخر ورأيه وإن كانوا يختلفون في بعض الأحيان فكان الإمام علي بن عبد الكافي السبكي كثير الأدب مع العلماء المتقدمين منهم والمتأخرين[3].

وذكر الحافظ أبو الفضل طاهر، أنه سمع أبا الحسن إدريس بن حمزة يقول لما دخلت بغداد واشتغلت بالدرس في حلقة الشيخ أبي إسحاق دخل علي في بعض الأيام فيرى في يدي شيئاً مما علقته عن الشيخ نصر فاستحسنه وقال لم أكن أظن أنه بهذه الدرجة[4].

ويذكر الإمام تاج الدين السبكي أنه كان كثير الملازمة للذهبي أما المزي فما كان يمضي إليه غير مرتين في الأسبوع وذلك بسبب ملاطفة الذهبي له.. يقول وكان الوالد يحب [لو كان أمري على العكس أعني يحب أن لازم الإمام المزي أكثر من ملازمة الذهبي لعظمة المزي عنده] (٥).

فهذا يدل على توقير العلماء بعضهم لبعض واحترامهم لقدرهم وعلومهم.

---

(١) المرجع السابق، ج١٠، ص٣٦٩.
(٢) المرجع السابق، ج١٠، ص٣٨٤.
(٣) المرجع السابق، ج١٠، ص٢٢٠.
(٤) المرجع السابق، ج٧، ص٤١.
(٥) المرجع السابق، ج١٠، ص٣٩٨.

* أهم ما اتسم به فقهاء الشافعية:

من خلال تتبعي لسيرة حياة هؤلاء الفقهاء وجدت لهم صفات وخصائص كثيرة من حسن خلق وتقوى ودين وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وأدب جم إلا أن أهم ما اتصف به هؤلاء الفقهاء هو الهمة العالية في تحصيل العلم ونشره وقد تجلت هذه الصفة بعدة مظاهر:

أ. عدم اكتفائهم بعلم بل تضلعهم بعلوم مختلفة:

فقد جمعوا بين الفقه واللغة والشعر والتاريخ والنحو والطب. يقول الإمام السلفي في الإمام أبي بكر بن السمعاني:

هو المرني إياد الفتاوى ... وعلم الحديث الترمذي
وحاحظ عصره في النثر صدقاً ... وفي وقت التشاعر عنتري
وفي النحو الخليل بلا خلاف ... وفي حفظ اللغات الأصمعي[1]

وكذلك الإمام أبو أيوب الينابي الغاشي فقد جمع علوماً في التفسير والقرآن والحديث واللغة والنحو والكلام والفقه والخلاف والدور والحساب(٢)

ويذكر الأدفوي الإمام علاء الدين القونوي يقول: شيخ الدهر وعالمه ومن شادت به أركان التصوف. إن ذكر التفسير فالرمخشري أو الفقه فالطبري، أو البيان والبديع فالسكاكي والجدري، أو النحو فالجناني.. أو الجدل والخلاف فالنسفي والعميدي يسلمان له فيه، أو المنطق فالخونجي والابهري يتلقيانه من فيه، مع عقل وافر ونسل طاهر(٣).

---

(١) المرجع السابق، ج٧، ص٩.
(٢) المرجع السابق، ج٧، ص٨٦
(٣) المرجع السابق، ج١٠، ص١٣٣

ب. كثرة التصانيف والمؤلفات التي اشتغلوا بتصنيفها:

فقد كان لكل فقيه مؤلفات كثيرة حتى قال الحافظ في الإمام تاج الدين السبكي أنه كان يأخذ الكتاب بالثمن اليسير فلا يزال يخدمه حتى يصير من الأمهات(١).

وللإمام الذهبي تصانيف كثيرة منها: سير أعلام النبلاء ومختصر تهذيب الكمال للمزي، وطبقات القراء، والمجرد في أسماء رجال الكتب الستة، ومختصر المستدرك للحاكم(٢)، وغيرها.

وللإمام الرازي تصانيف كثيرة أيضاً منها: "التفسير"، و"المطالب العالية" و"نهاية العقول"، و"الأربعين"، و"المحصل"، وغيرها(٣).

هذه بعض من تصانيفهم لا نريد الإسهاب في ذلك.

ج. وقارهم وهيبتهم أثناء الدرس واستغلال أي فرصة لتعليم الطلبة وإفادتهم وإرشادهم:

اتفق أن جلس الإمام الغزالي يوماً في صحن الجامع الأموي وحلقة من المفتين يفتون في الصحن، وإذا بقروي أمامهم مستفتياً، ولم يردوا عليه جواباً، والغزالي يتأمل، فلما رأى الغزالي أنه لا أحد عنده جوابه، وعزّ عليه عدم إرشاده دعاه وأجابه، فأخذ القروي ينهرّ به، ويقول: إن كنا المفتين ما أحسنوني، وهذا فقير عامي، كيف تحيني، وأولئك المفتون ينظرونه.

فلما فرغ من كلامه معه دعا القروي، وسأله: ما الذي حدثك به هذا العامي

---

(١) المرجع السابق، ج٧، ص٢٥.
(٢) المرجع السابق، ج٩، ص١٠٢
(٣) المرجع السابق، ج٨، ص٨٨.

فشرح لهم الحال. فجاءوا إليه، وتعرفوا به واحتاطوا به وسألوا أن يعقد لهم مجلساً، فوعدهم إلى ثاني يوم، وسافر من ليلته ﷺ(١).

دور الخلفاء والأمراء في عملية التعلم:

يلعب البعد السياسي دوراً مهماً في عملية التعلم ذلك لما للخليفة أو الحاكم من سلطة لتمكنه من تشجيع العلم والعلماء أو معاداة العلماء ومحاربتهم.

فكما أن هناك حكاماً يقفون موقف العداء من العلماء فقد كان من بينهم أيضاً من يجل العلماء ويقدر العلم وقد تجلى ذلك في مظاهر عدة منها:

- حضورهم مجالس العلم والاستفادة منها في ما يتعلق بأمور الحكم منهم الملك الناصر، قال الموفق عبد اللطيف:

وجدت مجلساً حفلاً بأهل العلم، يتداكرون في أصناف العلوم وهو يحسن الاستماع والمشاركة ويأخذ في كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق ويتفقه في ذلك ... وكان يحفظ (الحماسة)، ويظن أن كل فقيه يحفظها(٢).

- إنفاقهم على العلماء من الأموال والعطايا

فقد كان الملك الظاهر ينعم على العالم أبي المحاسن بن شداد الأموال الجزيلة فتكاثرت أمواله حتى عمر بحلب مدرسة ثم دار حديث(٣).

- حثهم للعلماء وإحضارهم إلى مجالسهم.

منهم السلطان شهاب الدين الغزنوي فقد كان أحد المشكورين من الملوك الموصوفين بمحبة العلماء وإحضارهم للمناظرة عنده وقد كان يقبل الوعظ منهم.

---

(١) المرجع السابق، ج٦، ص١٩٩.
(٢) المرجع السابق، ج٧، ص٣٤٨.
(٣) المرجع السابق، ج٨، ص٣٦١.

وبقول الإمام السبكي:

وعند يوماً الإمام الرازي بحضرة السلطان الغزنوي وحصلت له حال، فاستغاث يا سلطان العالم: لا سلطانك يبقى، ولا بلبيس الرازي يبقى.﴿...وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ ...﴾[غافر: ٤٣] (١).

- اهتمامهم ببناء المدارس:

فقد اهتم كثير من الخلفاء والأمراء ببناء المدارس وتفويض للاشتغال بها.

يقول الإمام السبكي: لما بنى الأمير ناصر الدين القيمري مدرسته فوض تدريسها إلى الإمام أبي الحسن الشهرزوري وإلى أولي الأفضلية من ذريته(٢).

وقد بنى الملك نور الدين المدارس لابن أبي عصرون بحلب وحماة، وحمص، وبعلبك(٣).

وبنى الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل مدرسة الصالحية المعروفة بين القصرين بالقاهرة فوض تدريس الشافعية بها إلى الشيخ عز الدين بن عبد السلام فباشرها وتصدى لنفع الناس بعلومه(٤).

وهذا إن دل على شيء فهو يدل على اعتناء بعض أعلى اعتناء بعض العلم والتعليم وتشجيع وإكرام العلماء وتوقيرهم.

- تقويم الفكر التربوي عند فقهاء الشافعية:

أثناء دراستي للفكر التربوي عند الشافعية استرعى اهتمامي بعض النقاط

---

(١) المرجع السابق، ج٨، ص٦٠

(٢) المرجع السابق، ج٨، ص٣٠٠

(٣) المرجع السابق، ج٧، ص١٣٤

(٤) المرجع السابق، ج٨، ص٢١١.

التي أرجأت نقاشها إلى آخر الصفحات في هذا البحث المتواضع وهي قليلة إن شاء الله تعالى:

- مكانة المعلم وأهميته:

لاحظت وهذه ليست ملاحظات على فقهاء الشافعية فحسب بل على معظم مدارس التعليم وهي المبالغة الزائدة في تقديس المعلم والحرص على أخذ العلم منه.

ونحن لا ننكر ما للمعلم من أهمية ومكانة إلا أن المعلم اليوم لم يبقى المصدر الوحيد للمعلومات بل تغير دور هذا المعلم من دور الملقن والموضح لمسائل العلم إلى دور المنظم والموجه لسير العملية التعليمية وإثارة دافعية الطلبة للتعلم.

ولا ننسى وجوده كقدوة لطلابه في السلوك الأخلاقي والعلمي والديني[1].

حرصهم على تحصيل العلم:

بالرغم مما للعلم من أهمية وفائدة عظيمة تعود على الإنسان في الدنيا والآخرة إلا اننا نرى مبالغة هؤلاء العلماء بتحصيل العلم ولو أدى بهم إلى التقصير والتفريط في الحقوق المترتبة عليهم تجاه أهلهم وأولادهم وزوجاتهم.

كما برنا في قصة الإمام علي بن عبد الكافي السبكي الذي توكل والده وعمه بشؤونه هو وزوجته وألزموها عدم مطالبته بأي أمر من أمور الدنيا حتى أنه كان لا يراها إلا وقت النوم.

ولا شك أن هذا إخلال بهدف العلم فنحن نتعلم لنعرف مالنا من حقوق وما علينا من واجبات والعلم الذي يمنعنا من القيام بمسؤولياتنا هو علم ليس بنافع، ذلك أن العلم لابد أن يشجعنا على القيام بمهامنا ومسؤولياتنا تجاه أزواجنا

---

(١) المرجع السابق، ج٨، ص ٦٠

وأولادنا والآخرين من حولنا، فيجب أن لا يغيب عن أذهاننا مبدأ الموازنة في كل شيء.

- عدد الشيوخ:

لقد لاحظنا مبالغة في عدة الشيوخ الذين كانوا يأخذون العلم عنهم حتى بلغ شيوخ أحدهم سبعة الآف شيخ... فنحن لا ننكر ما لكثرة الشيوخ من فائدة في تحصيل علوم كثيرة، لكن أن يصل عدد الشيوخ إلى هذا الحد فهو أمر مبالغ فيه وربما كان يستهويهم العدد الكبير للشيوخ.

استخلاصات عامة

بعد استعراضنا لأهم الجوانب التربوية عند فقهاء الشافعية من خلال كتاب طبقات الشافعية الكبرى للإمام تاج الدين السبكي ووجدنا أنه كان حافلا بكثير من هذه الجوانب:

كأهمية تحصيل العلم ونشره وأهمية وجود المعلم لأخذ العلم عنه وكذلك تعرضنا لإعداد هذا المعلم من النواحي الدينية والخلقية والمهنية وكذلك تعرفنا على علاقة المعلم بالمتعلم والمتعلمين بعضهم ببعض وكذلك تحدثنا عن تعليم النساء وتربية الأطفال وأهداف التعليم وطرق وأساليب التدريس عندهم ومظاهر اعتناء بعض الخلفاء والحكام بالعلم والعلماء وتحدثنا عن مؤسسات التعليم عندهم.. مما يؤكد لنا أهمية دراسة هذا التراث التربوي ومحاولة توضيحه وتحليله ونقده ليسهم في عملية التربية والتعليم بشكل فاعل في عصرنا هذا.

مصادر الجزء الثاني
و مراجعه

١. ابن تغرى بردى وجمال الدين أبو المحاسن. المنهل الصافي. تحقيق محمد أمين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

٢. الرازي (أبو محمد بن أبي حاتم، ت٣٢٧). آداب الشافعي ومناقبه. تحقيق محمد الكوثري، بيروت، دار الكتب العلمية. (د. ت).

٣. السبكي (تاج الدين أبو نصر، عبد الوهاب بن علي). طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلو، ١٩٦٧.

٤. الصفدي، (صلاح الدين خليل بن أيبك). الوافي بالوفيات. بيروت، المعهد الألماني، ١٩٩٣.

٥. عبد الحليم الجندي. الإمام الشافعي. القاهرة، دار المعارف، ط٣. (د. ت).

٦. العسقلاني (أحمد بن حجر، ت٨٥٢ هـ). الدرر الكامنة. تحقيق محمد سيد حاد الحق، ط٢، مصر، دار الكتب الحديثة، ١٩٩٦م.

١. ابن العماد الحنبلي (أبي العلاج، عبد الحي، ت ١٠٨٩هـ). شذرات الذهب، بيروت، دار المسيرة، ١٩١٩م/ ١٣٩٩هـ.

٨. محمد أبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية. القاهرة، دار الفكر العربي، (د. ت).

٩. محمد مصطفى أمنابي الجديد في تاريخ الفقه الإسلامي، القاهرة، دار المنار، ١٩٨٦م.